التنشئة الأسرية والمخرجات السلوكية للابن الحدث

أ.رتيمي أسماء

جامعة الدكتور يحي فارس المدية

ملخص :

تعتبر الأسرة وسيطا ضروريا في تربية الطفل وتلقينه القيم الإجتماعية وإكسابه أنماط وسلوكات مقبولة من طرف المجتمع، وفي هذا الإطار» يولي علماء الإجتماع اهتماما متزايدا بالأسرة والدور الذي تلعبه بالنسبة للحدث الذي ينحدر منها ، وعليه كشفت كثير من الدراسات أن أهم مؤسسة وأخطرها على الإطلاق هي الأسرة ، وعليه نحاول في هذا المقال الكشف عن أهم الأساليب الوالدية وأثرها على سلوك الأبناء.

La famille est le médiateur le plus important dans l’éducation de l’enfant quelle enseigne les valeurs sociales et améliore les comportements acceptables pour la société, dans ce contexte, «les sociologues donnent un intérêt aux rôles qu›elle joue pour le délinquant, et donc la plupart des études ont révélé que l›institution la plus importante de tous est la famille, par conséquent, dans cet article nous essayons de détecter les facteurs les plus encourageants pour la deviance des enfants dans le milieu familial .

تمهيد

تعد الأسرة أقرب وحدة اجتماعية مصغرة بالنسبة للفرد تحمل بداخلها جملة من الأعراف والقيم والمعايير تتحدد بموجبها هوية الأفراد الذين يتفاعلون معها في شكل وظائف وأدوار ومراكز معينة، وهذا التفاعل يأتي من خلال ارتباط الفرد ببيئته الاجتماعية والتأثر بها فتمنحه هذه البيئة النماذج السلوكية التي يتبعها في حياته وبذلك تعكس مكونات المجتمع الكبير، ومن هنا فهي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تتدخل في تحديد الاتجاه الذي سوف يسير عليه الفرد وهذا يقودنا للقول بأنّ البيئة الأسرية تعد مجالا واسعا يشمل كل أنواع العوامل الوجدانية والاجتماعية وكذا الاقتصادية التي بموجبها تتميز الأنماط السلوكية للأفراد.

وفيها يترعرع الطفل ويفتح عينيه في أحضانها حتى يشب ويستطيع الاعتماد على نفسه بعدها يلتحق بالمؤسسة الثانية وهي المدرسة المكملة للمنزل، وتتشكل شخصية الطفل خلال الخمس السنوات الأولى أي في الأسرة لذا كان من الضروري ان تلم الأسرة بالأساليب التربوية الصحية التي تنمي شخصية الطفل وتجعل منه شابا واثقا من نفسه صاحب شخصية قوية ومتكيفة وفاعلة في المجتمع.

وإنّ التغير الاجتماعي الذي عرفه ويعرفه المجتمع الجزائري كان له تأثير كبير على الأسرة الجزائرية فالحضور الجسدي للوالدين قد لا يضمن استقرار العائلة حيث أنّ العيش مع الوالدين بسلوكات سيئة قد يكون أكثر تأثيرا من العائلة المتصدعة، فالطفل يتعلم سلوكه من خلال طريقة تربية ومراقبة آبائه له، وبصفة عامة من خلال تقليده لسلوكهم وسلوك كل أفراد عائلته، فإذا لم تقم الأسرة بهذا الدور كما ينبغي فالطفل يمكن أن يواجه مشاكل في تنمية سلوك صحي، قد تؤدي إلى انحرافه في المجتمع.

وتتكون الأساليب غير السوية والخاطئة في تربية الطفل إما لجهل الوالدين لتلك الطرق أو لإتباع أسلوب الآباء والأمهات والجدات أولحرمان الأب أو الأم من اتجاه معين فالأب عندما ينحرم من الحنان في صغره تراه يغدق على طفله بهذه العاطفة أو العكس بعض الآباء يريد أن يطبق نفس الأسلوب المتبع في تربية والده له على ابنه وكذلك الحال بالنسبة للأم، ومن هنا فالتربية والمتابعة الأسرية غير السوية التي تعتمد عليها الأسرة والتي تقوم على الإفراط في التدليل أو الإفراط في القسوة كأساليب للتربية والمتابعة الوالدية داخل وخارج البيئة الأسرية وبالإضافة إلى هذه الأساليب تمنح الأسرة لأفرادها قواعد سلوكية لا تتفق في معظمها مع خصوصية

المجتمع الجزائري الذي تنتمي إليه فهذه التربية تتصارع وتتعارض مع الأهداف الاجتماعية التي تعكس درجة ارتباط الآباء والأمهات بأبنائهم والتي تتجسد بمحاولة توجيه السلوك الفردي نحو اتجاه معين أوغياب التوجيه كلية، ومن هنا يتضح لنا بأنّ هذه التربية والمتابعة الأسرية لا تستطيع تحقيق الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته وتقاليده مما يدفع بأفرادها للجوء إلى السلوك المتسم بالعدوانية كمحاولة للانتقام من بيئته الأسرية من جهة وأيضا كمحاولة لإفراغ كبت داخلي يعاني منه بالنظر للظروف الأسرية التي عاشها منذ الطفولة.

ولذلك فان ما تتركه الأسرة في نفس الفرد وعلى الأخص في طفولته الأولى وفي سن الحداثة يرسب ويستقر في نفسية الطفل ويلازمه طيلة حياته ويؤثر إلى حد كبير في سلوكه سواء كان الفرد واعيا لذلك أوغير واع.

التنشئة في الأسرة الجزائرية والعوامل المؤثرة فيها.

الأسرة هي أهم وسط للتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسة اجتماعية هامة حيث تلعب الدور الأساسي في تعليم الطفل القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوبة كما تقوم بنقل التراث الثقافي إلى الطفل والخبرة التعليمية من خلال التفاعل بين الآباء والأبناء وتوزيع مكانات وأدوار الأفراد داخل الأسرة، والجدير بالذكر أن كل أسرة يمكن أن تستمد تنشئة أبنائها من مجموعة القواعد والأحكام الاجتماعية التي تتماشى مع ثقافة المجتمع، كما تحتاج الأسرة للقيام بتنشئة أبنائها تنشئة سليمة إلى كثير من المقومات التي تساعدها على توفير بيئة خالية من التوتر والاضطراب.

وهناك عوامل عديدة يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على حياة الأفراد تفاعلاتهم اليومية وعلى التنشئة داخل الأسرة الجزائرية.

أولا: التنشئة في الأسرة الجزائرية.

إن التنشئة الاجتماعية عملية يخضع لها الفرد بغرض الاندماج في جماعة اجتماعية وتكيفه حسب قيم ومعايير مجتمعه، وباعتبار أن الأسرة هي الوسط الأول الذي يعيش فيه الفرد فيوكل عليها الدور الوظيفي لعملية التنشئة فتعمل على غرس قيم الجماعة ومعايير المجتمع لأفرادها (Boutefnouchet , 1980 , p36-37)، فهي كذلك (أي الأسرة) تتكيف حسب المرحلة الزمنية التي تكون فيها وهذا ما يتضح بالنسبة للأسرة الجزائرية التي عاشت الفترة الاستعمارية فقد اختلف نموذج تنشئتها لأفرادها مقارنة مع دورها في فترة الاستقلال وما بعده.

فالشكل الأسري الذي كان سائدا هو العائلة المسماة بالتقليدية، ويمكن أن نعتبرها عائلة متسلطة مركزية ومبنية على وحدة المصالح الاقتصادية والتضامن والتكامل ويعتبر الفرد فاقدا لاستقلاليته نظرا للنظام الذي تخضع له، أضف إلى تحمله مسؤولية الأفراد الآخرين وهذا بحكم الثقافة السائدة في المجتمع، فتعمل الأسرة على توزيع الأدوار وتوفير كل احتياجات الفرد منذ صغره للعب الدور الذي سيؤديه في المجتمع.

فمع اندلاع الثورة التحريرية وجدت المرأة نفسها مسؤولة على إعالة الأطفال وتربيتهم وهذا بسبب غياب العنصر الرجالي عن البيت بعد مشاركته المباشرة في الحرب (Delacroix Catherine 1986, p66) وإن غياب الأب عن البيت لم يكن سهلا على الأطفال وتنشئتهم في هذا الجو الذي ينقصه حنان الأب، كما كانت الأم أثناء الحرب التحريرية تقوم بعدة نشاطات كتحضير الخبز والأكل للمجاهدين من أجل مواصلة المعركة، رغم أنها كانت تتولى أدوارها التقليدية في البيت من مهام الطبخ والغسيل والاهتمام بتربية الأطفال, والتحاق الأم بالمجال الخارجي كان يبعدها عن البيت والأطفال وهذا ما أثر على الدور التنشيئي والوظيفي لكل أفراد الأسرة وهكذا استطاعت الثورة من أجل الاستقلال الوطني أن تقلب النسق القيمي لأسرة.

والتنشئة في الأسرة الجزائرية لم تكن من اختصاص الوالدين وحدهما وإنما كانت مهمة الكبار من الوحدة القرابية, فالطفل تقوم سلوكا ته وتثري خيراته في الحياة عن طريق جده وجدته عمه, عمته وابن عمه الأكبر منه, أو أخوه الأكبر منه سنا،هذا وتمتاز التنشئة في العائلة الجزائرية بجملة من الخصائص يمكن أن نذكر منها ما يلي:

1- النظام البطريقي الأبوي.

الأب في النظام الأبوي هو شكل النموذج الأصل للأبوية وهو أداة القمع الأساسية, قوية ونفوذه يقومان على العقاب ومع التغير الذي عرفه المجتمع الجزائري أصبح وجوب أب العائلة الذي له القرار ولا يرجع فيه يقل أكثر فأكثر ضمن الأطر الاجتماعية حيث تغيرت العلاقات الاجتماعية والعائلية خاصة تمرد الأبناء على سلطة الأب. لكن مع ذلك **مازال الأب مقتدرا في العائلة(شرابي هشام, 1992, ص 60)**

مما يشير إلى أن النظام الأبوي رغم التغير الاجتماعي إلا أنه يبقى المجتمع ذكوري بطريقي لكن بنسب متفاوتة من فترة لأخرى وبين الحضر والريف وبين

الوسط المثقف والأمي ففي المجتمع الحضري أصبح الأبناء يميلون إلى نزعة التفرد بشؤونهم الخاصة وهذا يرجع إلى انتشار التعليم وتأثرهم بنمط الأسرة الغربية حيث التنشئة فيها قائمة على الحرية المطلقة ووسائل الإعلام فهذه التغيرات جعلت الشباب يعيش صراعا ثقافيا ممزقا بين القيم التقليدية وقيم الانفتاح والعصرنة.

2- التسلط التربوي.

تشير أغلب الدراسات العربية الجارية في ميدان التنشئة الاجتماعية إلى شيوع أنماط التنشئة المتسلطة المحافظة والتي تسعى إلى بناء شخصيات مطوعة تميل إلى الإذعان والتبعية ينعدم فيها الحوار والنقد والمناقشة والإبداع.

فالتسلط يؤدي إلى ضعف الثقة بالنفس وفقدان القدرة على ممارسة الأدوار الإيجابية وميل كبير إلى الخضوع والاستكانة لكل أشكال السلطة وفقد المبادرة الذاتية والعمل التلقائي، و يؤدي إلى مظاهر الإحساس بالدونية وفقدان مشاعر احترام الذات. فالحاكم يضرب المحكوم والغني يضرب الفقير, والقوي يضرب الضعيف والكبير يضرب الصغير, والرجل يضرب المرأة والمعلم يضرب التلميذ والأب يضرب الابن وهكذا نضرب أنفسنا بأنفسنا ونستمر في الضرب فنتربى عليه(قنبر محمد, 1992, ص 136)

3: العلاقات الأسرية.

أ-العلاقة بين الإخوة: تتميز هذه العلاقة في العائلة التقليدية بالاحترام المتبادل والحياء وهي تستوجب أن يحترم من كان أصغر سنا أخاه الأكبر ومكانة الكبير تحظى بالهيبة والعلاقة في النهاية هي علاقة خضوع واحترام لمن هو أكبر ويمكن تشبيه علاقة الأخت الكبرى بأخوتها الصغار بعلاقة الأم بأبنائها وهذا يظهر في خدمتهم وتعليمهم.

ب-العلاقة بين الجنسين الأخ والأخت: العلاقة بين الأخ وأخته تمتاز بالسيطرة والقهر من طرف الأخ رغم انتمائه إلى نفس جيل أخته سنا ويظهر هذا بقوة في اللعب والأدوار الموكلة إليهما وفي التنشئة الأسرية التي تلقوها فتتخذ الأخت دور الطاعة وتنفيذ أوامر أخيها والعمل على خدمته بينما يتلقى الذكر تنشئة اجتماعية تجعله سيدا, لأنه هو الآمر في كل شيء ولا يقبل أية مناقشة في قراراته خصوصا من طرف الإناث لأنه يرى ذلك انتقاصا من رجولته وهي صورة مطابقة لما رآه من صورة ضضوع أمه لأبيه فهو يمارس سلطته على إخوته وإن كن أكبر سنا منه (Naar-mane Guessous, 1985, p 30)

ج- علاقة الأم بالبنت:

تحتل البنت داخل الأسرة الجزائرية وضعية خاصة فتحاط بكثير من العناية والاهتمام لا لكونها ذات مركز ودور أكبر من الولد بل لأنها حاملة لجملة من القيم التي بها يظهر مركز العائلة وشرفها, فهي تتلقى تربية خاصة تجعلها صورة طبق الأصل لشخصية أمها وأي انحراف في سلوك البنت يسقط اللوم على الأم باعتبارها المسؤولة عن تربيتها والأم بهذا الشكل تحاول إعطاء البنت نموذجا تربويا يتلاءم وثقافة المجتمع وتعرف جملة من التناقضات في آن واحد حيال ابنتها والتي تتمثل في الخوف عليها من جهة واحترامها لما تكبر, ومن الحب لها الذي يتمثل في الأمومة. والكره إذا أخطأت ممزوجة بالقلق على هذه البنت من كل ما يحيط بها أو يحصل لها تخدش سمعتها.

4-علاقة الأم بالابن:

1. تأخذ علاقة الأم بابنها بعدا خاصا حيث يتوقف مصيرها على إنجاب الذكور لكي تطرد شبح الطلاق وتستطيع الأم البقاء في العائلة والعلاقة بينهما هي علاقة قوية فهي تتفرغ كلية لابنها الذي هو كمحور لها، وهذه العلاقة فرضها المجتمع باعتباره مجتمع ذكوري فهي تحاول ضمان مستقبلها الذي لا يمكن أن يكون في حالة عدم إنجابها للذكور، وتعتبر لحظة ميلاد طفل ذكر ذات أهمية أكبر من يوم زواجها وميلاد الذكر بالنسبة لها هو عرس كبير عكس ميلاد البنت لأن الذكر.

   هو الذي يملأ البيت بالأولاد ، ومكانة الإبن في المجتمع تختلف عن مكانة البنت **(معتوق جمال، الجزائر: 2004،)**وهذا ما يجعل العلاقة بين الأم وأبنائها تختلف من جنس لآخر، ومع تغير هذه المكانة في المجتمع تتغير هذه النظرة بنسب متفاوتة من أسرة إلى أخرى.

5-علاقة الأب بالبنت:

الملفت للنظر أن العلاقة التي كانت تربط البنت بأبيها في الأسرة التقليدية تتميز بالاحترام الشديد والطاعة, الخضوع ويتجلى ذلك في كلامه المهذب وفي مظهرها الخارجي المحتشم أمامه إضافة لاستعدادها الدائم لخدمة أبيها والإمكانيات التي تظهر في هذا الشأن.

1. أما سلوك الأب اتجاه ابنته الصغيرة لا يكتسي عناية عاطفية كبيرة. وغالبا ما تتحاشى البنت أباها في العائلة التقليدية وتتجنب الظهور أمامه خاصة في مرحلة

البلوغ, والمجتمع وضع قواعد ضمنية متمثلة في ذلك الاتفاق الضمني حيث لا يجد الأب نفسه مع ابنته وجها لوجه, (كفافي علاء الدين، القاهرة: ، 1999).

ومن الأساليب التربوية المستعملة من طرف الآباء من أجل تنشئة الطفل نجد التهديد والتخجيل واللعنة والرحمة والعقوبة من أجل تقويم كل عيوب الطفل, والضرب كتعبير عن التأديب كذا تعويد الطفل على ترويضه على التحمل والخضوع للآخرين.

كما تمتاز التنشئة بالتفرقة بين الجنسين بتخصيص كل من البنت في المنزل والذكر خارج المنزل فهناك عالمان منفصلان لكل منهما خاصياته وإذا حضيت البنت بنصيب من التعلم فمكانها دائما هو البيت فلا يسمح لها بالخروج إلا في أوقات الدراسة فتقوم إما بالمذاكرة أوشغل البيت على عكس الولد الذي ترى الأسرة أن الشارع هو مكانه الطبيعي ولا يسأل عن المدة ولا المكان الذي كان فيه أو تدفع به أسرته للعمل (غير رسمي) كبيع السجائر مثلا...الخ فنجد أن البنين هم أكثر عرضة استعانة الأسر بهم، مما يؤدي إلى عجز الآباء في السيطرة على الطفل وقضاء معظم أوقات فراغه خارج المنزل بعيدا عن مراقبة الأهل وتوجيههم أما بالنسبة للبنات فيقضين معظم الوقت في المنزل نتيجة قيود وعادات اجتماعية معينة مما يسهل مراقبتهن وتوجيههن (محي الدين عبد العزيز، 1983، ص 53)، وبالتالي فمراقبة البنت لا يعود في الأساس إلى الاهتمام بالبنت أكثر من الولد وإنما يرجع إلى اعتبارات ثقافية وإلى عادات وقيم وإلى الأسلوب التنشيئي المتبع من طرف الوالدين.

وتتم عملية تعليم الطفل ابتداءا من الأسرة إلى الروضة إلى التعليم التحضيري القرآني وصولا إلى التعليم الإلزامي ولا يصل المتعلم إلى مرحلة عالية من التعليم إلا إذا تلقى تنشئة تساعده على ذلك فنجد مثلا في الريف الفتاة تنقطع عن الدراسة في المرحلة المتوسطة وهذا لبعد المسافات وما تتطلبه من مصاريف النقل والأكل خاصة الفتاة التي تحكمها عادات صارمة من طرف الأسرة، وهذا ما نجده في المدن التي تتوفر فيها هياكل تعليمية التي تشجع على الدراسة وإقبال الفتاة وهذا راجع إلى نوع التنشئة التي تتلقاها في المدينة من تشجيع على الدراسة وعلى العمل.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

يمكن تحديد العوامل الأسرية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية للفرد على النحو التالي:

أولا: اتجاهات الوالدين.

تتأثر عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة باتجاهات الوالدين والأساليب التي يتبعها في تقويم سلوكات أبنائهم منها ما يلي:

1- الحماية الزائدة:

وهذا الأسلوب نجده كثيرا داخل الأسرة الجزائرية، فنجد كثيرا من الآباء يسلكون هذا الأسلوب فيقومون بالحماية الزائدة للطفل وتدليله بصورة مبالغ فيها وتوفير له كل طلباته بعقلانية أو دون عقلانية والخوف عليه من العلاقات الخارجية، كلها تسلب رغبة الطفل في التحرر والاستقلال حيث يتدخل الوالدان في شؤونه باستمرار ويقومون نيابة عنه بالواجبات، ومن ثم لا تتاح له فرصة اختيار أنشطته المختلفة بنفسه وبالتالي يجد صعوبة في تحمله المسؤولية في مستقبل حياته مما يؤثر في مركز الضبط لديه.

2-الإهمال:

ويتمثل في اللامبالاة بنظافة الطفل أو عدم إشباع حاجاته الضرورية والفيزيولوجية والنفسية وعدم إثابته وتشجيعه عندما ينجز عملا، وقد بينت العديد من الدراسات خاصة في علم الاجتماع التربوي أن الابن الذي يتحصل على نتائج جيدة وتقابل هذه النتائج من طرف الأولياء بنوع من اللامبالاة دون شكر أو تشجيع تولد لديه نوع من السخط والغضب وتدفعه إلى إهمال دروسه وتكون النتائج عكسية وتقهقر في تحصيله ونفس الشيء عندما يتحصل الغبن على نتائج ضعيفة والأولياء لا يعطونها أدنى ملاحظة، فهذا يزيد في تدهور تحصيل الابن فهو يشعر بأن الدراسة غير مهمة وأنها لو كانت كذلك لمل قابل الأولياء نتائجه بتلك الكيفية.

3- أسلوب القسوة والتسلط:

ويعني المنع والرفض لرغبات الطفل ومنعه القيام بما يرغب فيه والصرامة والقسوة في معاملة الأطفال وتحميلهم مهام ومسؤوليات فوق طاقاتهم وتحديد طريقة أكلهم ونومهم ودراستهم ومعاقبتهم عند قيام الطفل بسلوكات خاطئة لا ترضي الآباء بالاستياء وعدم الرضا والضرب البدني والتعبير اللفظي كالشتم والإهانة والحرمان

العاطفي والمادي وأحيانا الطرد من البيت، وهذا الأسلوب متداول كثيرا داخل الأسرة الجزائرية حيث يميل الوالدان للسيطرة وفرض معايير السلوك التقليدية باستخدام السلطة.

وأن أغلبية المشكلات الاجتماعية وخاصة الانحرافات بشتى أنواعها المرتكبة من طرف الأحداث وحتى بعض الكبار في مجتمعاتنا العربية والجزائر ترجع إلى الطرق التربوية العنيفة، وخاصة العنف الرمزي كالسخرية من المذنب والعمل على فضحه والإشهار به أمام الآخرين، وهذا ما يولد لديه روح الانتقام والعمل على المواصلة في الانحراف.

فالشتم أو أثارة الألم النفسي يؤدي بالأطفال بالشعور بالذنب، وتأنيبهم وتحفيزهم والتقليل من شأنهم باستعمال ألفاظا تؤثر فيهم وقد يسلكون نفس الأسلوب الذي شتموا به، كما يؤدي كثرة العقاب البدني والضرب إلى عدم الثقة بالنفس وينشأ الطفل في جو مشحون بالعنف كما يؤثر على شخصيته مستقبلا ويؤثر على تحصيله الدراسي.

كما يؤدي كثرة العقاب إلى الشعور بالنقص والارتباك، كما قد يترتب على هذا الاتجاه شخصية متمردة تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المتعارف عليها كوسيلة التنفيس والتعويض لما تعرضت له من القسوة، وعلى هذا فإن هذه الشخصية ينتج عنها السلوك العدواني الذي يتجه نحو الغير، ويتعود على الضرب والقسوة فلا يؤثر فيه الضرب ويردعه عن سلوكاته المنحرفة ،فهذه السلوكات هي نتيجة القسوة التي عان منها في طفولته فأصبح لا يعرف الرحمة فيلجأ إلى تعذيب الحيوانات والطيور، كما أنه غالبا ما يكون سعيدا لما يجعل الناس غير سعداء ويتألمون لأنه حرم السعادة في طفولته وهذا ما نراه يوميا من خلال معايشتنا للواقع.

4-أسلوب التفرقة:

كثيرا ما يلجأ الآباء إلى التفرقة بين الأبناء في المعاملة وعدم المساواة بينهم بسبب الجنس أو السن أو ترتيب الولد أو لأي سبب آخر وهذه التفرقة قد تترتب عليها تكوين شخصيات مليئة بالغيرة، فترتيب الولد في أسرته عامل مهم في التنشئة بحيث يظهر الولد الأول بأكثر نسبة من الاهتمام والتشجيع من طرف الآباء وتحفيز طموحه ويليه في ذلك الابن الأصغر، أما الذين يتوزعون في غير ذلك فهم يتأرجحون بين الاعتدال والإحباط في إثارة الأهل.

فالطفل الأكبر يتلقى اهتمام الوالدين وهذا ما يدفعه إلى أن يحتل مكانة عالية، وقد يتحمل المسؤولية من الصغر لكونه، وأما فيما يخص الابن الأوسط يحتل المرتبة

الثانية وهي معاملة والديه لأنه يأتي خلفه حتى في ارتداء الملابس حيث نجده غالبا ما يرتدي ملابس أخيه القديمة كما يتلقى عدة موانع هي مسموحة بالنسبة للأخ الأكبر، فالابن الأوسط كثيرا ما يؤدي به إلى اللامبالاة، فينصرف نحو إقامة العديد من العلاقات الاجتماعية بعيدا عن العلاقات الأسرية.

أما مركز الابن الأخير يولى اهتماما خاصا اتجاه والديه وتنشئة تختلف عن بقية الإخوة لأن علاقته هنا يغلب عليها عاطفة الخوف فلا يسمح له القيام بمعظم الأعمال, فهم بهذا ينظرون إليه أنه دائما صغير ويعملون على إطالة مدة طفولته وهذا يجعل منه في مرحلة المراهقة شخصية إتكالية مدللة, صعبة التكيف مع الواقع الاجتماعي , أنانية تعودت أن تأخذ دون أن تعطي, تحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها شخصية تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها .

5-اتجاه التذبذب:

ونجده كثيرا داخل الأسرة الجزائرية والذي ويتضمن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة وهذا يعني أن سلوكا معينا يثاب عليه الطفل مرة ويعاقب عليه مرة أخرى كذلك قد يتضمن هذا الاتجاه حيرة الأم نفسها إزاء بعض ما يمكن أن يصدر عن الطفل من سلوك, بحيث لا تدري متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه، كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعيا.

و يترتب على هذا الاتجاه شخصية ازدواجية منقسمة على نفسها وقد يكون مع أسرته بخيلا, دائم الغضب ولكنه مع أصدقائه شخص آخر كريم متسامح , ضاحك مبتسم ...الخ. وهو مع رئيسه في العمل متملق وناعم في حين أنه مع مرؤوسه قاسي وخشن وقد يكون مع أبنائه يفضل جنسا على جنس وغالبا ما يكون هذا التفضيل في جانب الجنس الذي منحه الحب والحنان في طفولته (الأب أم الأم), ثم هو على النقيض من ذلك مع أبنائه من الجنس الذي حرمه الحب والحنان ...الخ. وهكذا يظل التذبذب والازدواجية سمة مميزة لهذه الشخصية.

6-الأسلوب الديمقراطي:

هذا الأسلوب وإن كان متداولا إلا أنه قليل وهو أسلوب الحوار بين الوالدين وبين الأبناء وبين الأبناء أنفسهم يتمثل هذا في مناقشة قضايا تهم الأسرة وقضايا تهم الأبناء حسب السن ومرحلة النمو والتسامح الذي يبرز بين أفراد الأسرة وتجاوز أخطاء الأبناء والاهتمام بكل ما يتعلق بقضايا أفراد الأسرة والابتعاد عن أسلوب العنف والردع والمعاقبة لأتفه الأسباب وانتشار جو الحرية في إطار القيم الاجتماعية

المحفزة على اتخاذ هذا الأسلوب والذي يؤثر على التكيف الاجتماعي للطفل ويصبح أكثر ايجابية خارج البيت ومع الآخرين وعلى الأنشطة الاجتماعية وتشير الدراسات إلى أن استخدام الأسلوب الديمقراطي في التنشئة يؤدي إلى زيادة إنتاجية الأبناء ويكونوا الأقل اعتداء على ممتلكات الغير وأكثر مواظبة وأكثر اعتماد على النفس، وميالا إلى الاستقلال متحليا بروح المبادرة أكثر قدرة على الانهماك في نشاط عقلي تحت ظروف صحية, أكثر اتصاف بالود .

وعلى هذا فإن هذا الاتجاه يعد الأمثل حيث يترتب عليه غالبا شخصية متزنة سوية, تستمتع بحظ كبير من متطلبات الصحة النفسية السليمة.

ثانيا : المستوى الثقافي للوالدين:

إن المستوى الثقافي للوالدين دور في التنشئة الاجتماعية, فبقدر ما يكون المستوى الثقافي لأحد الأبوين أو الاثنين معا مرتفعا يكون مستوى الطموح للأبناء مرتفعا ،حيث يؤدي إلى إغناء القاموس اللغوي للطفل وتهذيبه وتنويع المعاملة الإيجابية وتأمين الجو الملائم المحفز للطفل على النجاح والتفوق في جميع ميادين الحياة. كما يسهر الوالدان على توجيه الأبناء بالمساعدة والتشجيع المستمر فيعطونهم بذلك صورة الأهل المثالية قولا وعملا وينمون فيهم الرغبة الدائمة في التفوق لأنهم يدركون بأن الأساليب القائمة على القسوة والتسلط تعيق كل نمو سليم وكل حافز للنشاط والتقدم.

ثالثا : العامل الاقتصادي للأسرة.

كما نرى بأن الوضع الاقتصادي للأسرة يؤثر في تنشئة الأبناء وتربيتهم فالحياة السهلة الرغدة تفي بالحاجات اللازمة لهم من مأكل وملبس واستمتاع بمتع الحياة المختلفة ومنها المتعة العملية والتكنولوجية عن طريق توفير الأجهزة المختلفة كذلك اللعب ...الخ بينما تسبب الحياة القاسية الناتجة عن الفقر وعسر العيش في وجود الإحساس بالحرمان وما يترتب عليه من أنواع الحقد والكراهية والعزلة الاجتماعية.

كما أن حالة الأسرة المادية المنخفضة كثيرا ما تدفع بالآباء إلى الاستعانة بالأطفال دون مراعاة لضعفهم أو التفكير في مستقبل حياتهم ومصلحتهم وهذا ما يكون مصدر خطر على كيان الأطفال بعكس الأسر ذات المستوى الاقتصادي الجيد.

رابعا : العامل الاجتماعي.

إن الطفل داخل الأسرة يحقق التفاعل الاجتماعي بشكل مستمر وذلك في سياق علاقات مع والديه وإفراد أسرته وهذا التفاعل الأولي يؤدي إلى تكوين الملامح الأساسية لشخصية الطفل وتشكيلها.

كما يؤكد علماء الاجتماع وعلماء النفس على أهمية ضمان الحاجات النفسية للأطفال والتي تتجسد عموما في خفض درجة التوتر والانفعالات النفسية التي يعانيها الطفل فهو يحتاج إلى الحب والحنان والرعاية الصحية (عبد الله صالح عبد الرحيم, ص 13) .

والحرمان من الأمومة ينعكس سلبا على الطفل وسلوكاته كما يقول د. دسوقي بأن حرمان الطفل من أمه « يجعله بليدا نافرا خاملا ومهما أعطى من غذاء ينقص وزنه الجسمي وصحته البدنية وانفعالات الإحباط أو الحرمان التي تعيق تفتحه وتعرقل نموه، وتشير نتائج أحداث الدراسات التربوية بالولايات المتحدة الأمريكية إلى مدى تأثير الحالة الاجتماعية وحضور الآباء الفعال على تقدم الأطفال في الأسرة في مراحل التعليم المختلفة بداية من فترة الحضانة الأولى. (عرفة حسام الدين، 2003، ص 2)

إن مشاركة الأب في التنشئة بشكل فعال مهمة جدا لاستقرار نفسية الطفل بل إن الخلل في العلاقة بين الطفل وأبيه كما أثبتت بعض الدراسات قد تؤدي إلى نموشخصية سلبية لا تشعر بجدوى المشاركة في الحياة السياسية نظرا لعدم جدوى المشاركة في الحياة الأسرية التي يستبد فيها الأب، وسيادة نظرة يائسة من أي تغيير وفاقدة الثقة في القدرة على التأثير في مجريات الأمور العامة.

ومنه نستنتج أن العامل الاجتماعي للأسرة له علاقة في التنشئة الأسرية للأبناء، فكلما كان أفراد الأسرة متماسكين ومتعاونين فيما بينهم كانت هذه الأسرة مستقرة وكان نمو أبناؤها متزنا وهادئا يهتمون برفع مستواهم التعليمي ويكتسبون قيام النجاح على عكس الأبناء الذين يعيشون في أسر مفككة غير منسجمة فهي تؤثر على النمو العقلي والانفعالي للأبناء.

المبحث الثاني :أهمية دور الأسرة في بناء أسس شخصية الحدث.

إن الإنسان يعيش منذ بداية حياته الأولى في عدد من السياقات المختلفة، تبدأ أولا بالأسرة ثم المدرسة والرفاق، والبيئة المهنية والنادي الاجتماعي الرياضي والديني وغيرها.

لكن يظل السياق الأسري من بين هذه السياقات سياق بالغ التفرد والخصوصية، ومن هنا كان تأثير الأسرة خطير على تكوين شخصية الفرد، فهي الجماعة الأولية التي تنمو في أحضانها شخصية الفرد في سنوات حياته المبكرة والحاسمة، وهي الجماعة الأولية التي تعلمه الاتجاهات التي تتحكم فيما يتعلمه من المؤسسات الأخرى إلى حد بعيد، وقد أصبح هذا التأثير الحاسم للأسرة في شخصية الفرد والذي يزداد وضوحا مع تقدم البحث العلمي. (كفافي علاء الدين، 1999، ص 5)

وهذا ما قد أشار إليه سابقا كل من « روبرت سيرزSears R، اليونوماكوبي Macoby E ، ليفن Lewin H " أن الأنماط السلوكية تحدد ما سوف يفعله الوليد البشري في مقتبل حياته أو ما يستطيع أن يفعله لكي يحصل على الإشباع والرضا ... وعلى ذلك فان الأسرة هي التي تكون وتنمي شخصيته ". (نقلا عن، أحمد كامل سهير، 1998، ص 6)

وعموما تعتبر الأسرة البنية الأساسية والقاعدية والتي يمارس فيها أولى علاقاته الإنسانية، وفيها يتم التشكيل الأساسي لشخصيته حيث أنها تشمل أقوى المؤثرات التي تواكب نموه منذ طفولته"... وهي الحصن الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية وتوضع فيه أصول المجتمع الاجتماعي لأنه كما يتشكل الوجود البيولوجي للجنين في رحم الأم فإنه يتشكل الوجود الاجتماعي للطفل في حضن الأسرة..."

و عملية التنشئة الاجتماعية في الوسط الأسري خاصة تحتل مكانة بالغة الأهمية، حيث هي العملية التي يتم من لأنها اكتساب القيم والاتجاهات، والنماذج السلوكية التي تميز الفرد عن الآخر، وفي الوقت نفسه تميز الثقافة التي ولد فيها، وإذا كان هذا هوشأن عملية التنشئة الاجتماعية، فإن صميم أهميتها هو الممارسات الوالدية وطرق معاملتهم، ومحتوى هذه المعاملات، وكيفية إدراك الطفل لها.

وإذا كان من المسلم به أن الأبناء يتأثرون بالاتجاهات الوالدية نحوهم، فإن هذا التأثير يبقى لديهم محفورا في أعماقهم حتى نهاية العمر، فبقدر ما ينظر إليهم نظرة رفض أو إشفاق، أو حماية زائدة، بقدر ما ينظرون إلى أنفسهم نظرة من يستحق الإشفاق أو الرفض، أو الحماية الزائدة، وقس على ذلك التدليل أو القسوة، أو التسلط، أو التذبذب إلى غير ذلك من الاتجاهات الوالدية غير السوية.

وهذا ما رآه « ك هورني (Horney.k (1964 " من أن الطفولة المشبعة بالحب تهيئ الفرد للاستجابة التلقائية للمثيرات المختلفة التي يتعرض لها في حياته

المستقبلية، كما أن الطفولة المليئة بالحرمان والسيطرة المباشرة وغير المباشرة، والإهمال، والتحقير، وعدم التقدير مثل هذه الطفولة تقيد من حرية الطفل في المستقبل وتؤدي إلى أنواع شتى من الصراع.(K Horney, , 1964, p 41.)

وهذا التذبذب في التربية قد يخلق في الطفل عدم الثقة بالنفس وعدم تقدير ذاته، مما يوصله إلى ضعف العزيمة وبالتالي عدم المشاركة الاجتماعية والانسحاب من الآخرين والانطواء على الذات.

وقد يخلق كذلك فيه التمرد على الذات، وعلى الآخرين وعلى القيم والمعايير مما يجعله مخربا ومكسرا لكل ما هو إنساني. إن الإهمال من الوالدين والأسرة يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته، ويفقده الإحساس بمحبتهم له وانتمائه إليهم. وتترتب عليه شخصية قلقة متمردة تتخبط في سلوكها بلا حدود وقوع لا تعرف الحدود الفاصلة بين الصواب والخطأ في السلوك وهو بذلك يكون شخصية غير منضبطة فاقدا للحساسية الاجتماعية التي افتقدها في أسرته.

فإذا كانت الأسرة بهذا القدر من الأهمية، فإن أساليب الرعاية التي يقوم بها الأم والأب على السواء لا تقل أهمية عن ذلك إذ لها الدور الأساسي والقاعدي في تكوين ذات الطفل بحيث إن نوع العلاقة التي تنشأ بين الوالدين والطفل، وطريقة معاملة الوالدين لطفلهما عامل هام يدخل في تشكيل شخصية الطفل.

إن أهمية الأسرة كبيئة اجتماعية وما يجري فيها من تفاعل بين أفرادها ينعكس مباشرة على شخصية الطفل، وبالأخص أساليب المعاملة الوالدية، كالرأفة والحنان والتسلط والاضطهاد ...الخ، يجعلنا نعير اهتماما خاصا لهذا العامل لما له من دور خطير على تكوين ذات الطفل ومن ثم على كيفية رؤيته للحياة وممارسته لها، وكيفية اتصالاته بالآخرين وقبوله لهم، وكيفية نظرته إلى المعايير الاجتماعية ومدى امتثاله لها.

إن الأسرة وما تشمل عليه من شخصية الأبوين وبقية الإخوة والأخوات، والجد والجدة أحيانا، ومجموع العلاقات الدائرة بين هؤلاء جميعا، اعتبرت أحد المؤسسات الاجتماعية التي أعطت أهمية كبيرة استنادا لوظيفتها في التكفل بالطفل، من خلال العديد من الدراسات التي اهتمت بالجانب النفسي أو الاجتماعي، التربوي، أو الديني ذلك لما لأهمية وخطورة الدور الذي يقوم به الوالدين أومن يحل محلهما في وظيفة الأسرة الأساسية.

وهذا لأن جهاز الأسرة كبنية اجتماعية وظيفته " تولي مسؤولية متابعة التنشئة الاجتماعية منذ الميلاد إلى أن يصل وهو رجل يشارك بدوره في نقل ما ينشأ عليه إلى غيره...(العوض محمد عباس، منهوري صالح رشاد، 1994، ص 120)»

وهي الإطار المرجعي الأساسي لبناء العلاقات الوجدانية للطفل مع غيره، ذلك أن هذه العلاقات تبدأ من ثنائية العلاقة [أم/طفل، أب /طفل] ثم تتوسع فيما بعد إلى العلاقات مع الأخوة والآخرين، هذه العلاقات يتدرب عليها الطفل تدريبا مكثفا خصوصا في مراحل الطفولة الأولى ضمن إطار ثقافي اجتماعي مما يعطي لكل أسرة طابعها الخاص في درجة التأثير على سلوكيات الأبناء لأنها بدورها كبنية متعددة المداخل والمخارج تتأثر بالمحيط الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي الذي تعيش فيه كوحدة ضمن النسق الاجتماعي العام.

بهذا تصبح الأسرة وسيطا بين الطفل من جهة وبين المجتمع من جهة أخرى لتقدم للطفل ما وجد في محيطها المتعدد المخارج والمداخل مصبوغا ببصمتها الذاتية، مما يجعل أحد وظائف الأسرة توصيل متطلبات المجتمع إلى الطفل أو ما يطلق عليها « عملية التطبيع الاجتماعي» .

كما ينظر إلى أن وظيفة الأسرة الأساسية هي عملية التطبيع الاجتماعي، الذي يبدأ حين يطلق الطفل صيحته الأولى مستقبلا تلك الحياة الجديدة حافلة بمن فيها وما فيها، وتستمر هذه العملية معه أثناء نموه، وتطوره، واكتسابه المهارة والقدرة حتى يصل إلى مرحلة من النضج والاكتمال تساعده على أن يفكر، ويحس، ويصدر أحكامه وقراراته على نفس النمط الذي ينتهجه أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها.

إلا أن معدل سرعة هذه العملية غير ثابت كما يرى «سعد عبد الرحمن»، ذلك لأنه يتغير بتغير فترات حياة الفرد من جهة والمواقف التي تمر به في كل فترة من هذه الفترات. ولذلك يزداد المعدل في المراحل الأولى من حياة الطفل لامتصاص وتمثيل الخبرة والمعرفة.

هنا يظهر خصوصا دور الأم والأب, وتبرز الوظيفة الوالدية في وضع الأسس القاعدية والأولية لسلوكيات الطفل، ثم يقل معدل سرعة عملية التطبيع الاجتماعي, عندما ينمو الطفل ويتكون لديه رصيد كاف من الخبرة, والمهارة تؤهله لكي يؤدي أنشطة أكثر فاعلية، وهنا تبرز مؤسسات اجتماعية أخرى [المدرسة, الرفقة, دور الثقافة, المسجد..] إلى جانب الأسرة لتتولى بدورها المشاركة في عملية التطبيع الاجتماعي.

غير أن هذه المؤسسات يبقى دورها تكميلي في تثبيت قيم ومعايير المجتمع في نظرنا على الأقل، وعلى ذلك ترى جل الدراسات أن الأسرة تؤثر في النمو النفسي السوي وغير السوي للطفل، كما تؤثر في نموه العقلي، ونموه الانفعالي العاطفي، ونموه اللغوي الاجتماعي، مما يجعل استقرار الأسرة واضطرابها يؤثر إيجابا أو سلبا على عملية التطبيع الاجتماعي. (شعراني كبارة أمان، 1994، ص 18)

قائمة المراجع :

1. العوض محمد عباس، منهوري صالح رشاد، علم النفس الاجتماعي نظرياته وتطبيقاته، مصر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.
2. شرابي هشام, النظام الأبوي وإشكالية المجتمع العربي, بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 1992.
3. شعراني كبارة أمان، السلوك الاجتماعي، ط3، مصر: مكتبة الفلاح، 1994.
4. عرفة حسام الدين، حضور الأب والتحصيل، مجلة حواء وآدم، 2003.
5. عبد الله صالح عبد الرحيم, الأسرة كعامل تربوي وتعاونها مع المدرسة في تربية الأطفال, بغداد: الإتحاد العام لنساء العراق
6. قنبر محمد, التربية وترقية المجتمع مركز ابن خلدون, الكويت: دار سعاد الصباح، 1992
7. كفافي علاء الدين، الإرشاد النفسي الأسري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999.
8. محي الدين عبد العزيز، الحالة الاقتصادية للأسرة وأثرها في التحصيل الدراسي لتلميذ في المرحلة الابتدائية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في علم نفس الطفل والمراهق، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، 1983، غير منشورة.
9. معتوق جمال، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، الكتاب الأول، ط1، الجزائر: 2004.
10. نقلا عن، أحمد كامل سهير، دراسات في سيكولوجية الطفولة، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، 1998.
11. Boutefnouchet Moustafa, la famille algérienne ,évolution et caractéristiques ,récents sned Alger ,1980
12. Delacroix Catherine, Essors et realiteé de la femme arabe, (Egypte- Alger), Histoire et respective méditerranéennes, l’arnatton, Paris, 1986
13. K Horney, Our lanner conflict, London: Broadway house, 1964.
14. Naarmane Guessous (soumaya), Au-delà de toute pudeur de la sexualité féminine au Maroc, eddif Casablanca, 1985